القول السديد
شرح
تفسير كلمة التوحيد

خالد بن محمود بن عبدالعزيز الجهني



القول السديد

شرح

تفسير كلمة التوحيد

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
(ت ١٢٠٦هـ)

تأليف

خالد بن محمود الجهني


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمدﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؛ وبعد.

فهذا تعليق وضعته على رسالة «تفسير كلمة التوحيد» لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، التي بين فيها جملة من أسماء كلمة التوحيد، وبين شروطها، وأركانها، وذكر جملة من شبه المشركين وأجاب عليها خير إجابة بها لا يجعل مجالا للمشركين ومن سار على دربهم واتبع نهجهم لضرب الأمثال؛ وقد التزمت فيه الاختصار على قدر الإمكان؛ لئلا يطول الشرح؛ لأن لكل مقام مقال.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

خالد بن محمود الجهني

٢٩/٦/١٤٣٤هـ

٩/٥/٢٠١٣م.



[أسماء كلمة التوحيد]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رَحِمَكَ اللهُ أنّ هذه الكلمة:

[١] هي الفارقة بين الكفر والإسلام.

[٢] وهي كلمة التقوى.

[٣] وهي العروة الوثقى.

[٤] وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون.

.... **الشـرح** ....

قوله: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»: ابتداء المصنف رحمه الله كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز، وتأسيًا بالنبي ﷺ في مكاتبته، ومراسلاته ؛ والبداءة بها للتبرك والاستعانة على ما يُهْتَم به.

قوله: «**اعلم**»: أي انتبه، والعلم هو أعلى مراتب الإدراك، وهو إدراك الشيء علي ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

قوله: «**رَحِمَكَ اللهُ**»: هذا دعاء للقارئ بالرحمة، أي غفر الله لك ذنوبك.

قوله: «**أنّ هذه الكلمة**»: أي كلمة: «لا إله إلا الله».

قوله: «**هي الفارقة بين الكفر والإسلام**»: أي هي التي تفرق بين الكفر والإسلام ؛ فمن نطق بها عاملا بمقتضاها وشروطها فهو من أهل الإسلام، ومن لم ينطق بها أو لم يحقق شروطها أو لم يعمل بمقتضاها فهو من أهل الكفر.

والكفر لغة: الستر والتغطية[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩].

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة «كفر».





وشرعا: نقيض الإيمان، وهو عدم الإيمان بالله أو برسوله.

والإسلام لغة: الانقياد(١).

وشرعا: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، وأهله(٢).

فائدة: الكفر قسمان:

الأول: كفر أكبر [اعتقادي]، وهو المخرج من الملة الموجب للخلود في النار.

الثاني: كفر أصغر [عملي]، وهو الموجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

فائدة: الإسلام قسمان:

الأول: إسلام شرعي، وهو خاص بالمسلمين، ولا يشترط وقوعه.

الثاني: إسلام كوني، وهو عام بكل المخلوقات، ولا بد من وقوعه.

قوله: «**وهي كلمة التقوى**»: أي من أسمائها: كلمة التقوى، وسميت بذلك؛ لأنها تقي صاحبها من النار، ومن ترك المأمور، وفعل المزجور، والتقوى هي العمل بالمأمورات - وأعظمها التوحيد - والانتهاء عن المنهيات - وأعظمها الشرك-.

قال تعالى ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:٢٦]؛ وكلمة التقوى هي لا إله إلا الله محمد رسول الله(٣).

قوله: «**وهي العروة الوثقى**»: الوثقى على وزن فعلى اسم تفضيل؛ والوثقى في هذا المكان، مثل للإيمان الذي اعتصم به المؤمن، فشبهه في تعلقه به وتمسكه به،

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة «سلم».

(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٢٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٢).



بالمتمسك بعروة الشيء الذي له عروة يتمسك بها، إذ كان كل ذي عروة فإنما يتعلق من أراده بعروته[١].

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٥]، العروة الوثقى هي لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال ابن كثير: «أي فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم»[٢].

فقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ : فيه معنى «لا إله».

و قوله: ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ : فيه معنى «إلا الله».

قوله: «**وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون**»: أي من أسماء كلمة التوحيد الكلمة الباقية، لذا أوصى بها إبراهيم عليه السلام ذريته من بعده.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّخرُف:٢٦-٢٨].

هو قول: لا إله إلا الله، كلمة باقية في عقبه، وهم ذريّته، فلم يزل في ذريّته من يقول ذلك من بعده[٣].

وقال ابن كثير: «هي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي «لا إله إلا الله» أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٢٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥٨٩).





من ذرية إبراهيم عليه السلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها»[1].

فقوله: ﴿بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾: فيه معنى «لا إله».

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: أي خلقني[2]، وفيه معنى «إلا الله».

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٥).

(٢)انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥٨٩).



[شروط كلمة التوحيد]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

[١] وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها؛ فإنّ المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار ﴿فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[النساء:١٤٥]، مع كونهم يُصلون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب.

[٢] ومحبتها ومحبة أهلها وبغض ما خالفها ومعاداته.

[٣] كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال لا إله إلاّ الله مخلصا»[١]، وفي رواية «خالصا من قلبه»[٢].

[٤] وفي رواية «صادقا من قلبه»[٣].

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

[٥] وفي حديث آخر: «من قال لا إله إلاّ الله وكفر بما يُعبد من دون الله»[٤].

....**الشـرح**.......................................

قوله: «**وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها**»: هذا الشرط الأول من شروط كلمة التوحيد وهو العلم بمعناها نفيا وإثباتا، أي ليس المقصود النطق بـ «لا إله إلا الله» دون فهم معناها؛ إنما المقصود فهم وتدبر معناها المراد منها نفيا وإثباتا؛ قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فمن نطق بها دون أن يعرف معناها، فليس بمسلم.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٠٧)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٩٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٦)، والسنن الكبرى للنسائي (١٠٨٧٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥/ ٢٧٧).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣).





فائدة: قد اختلف الناس في معنى كلمة التوحيد على خمسة أقوال[١]:

القول الأول: لا معبود بحق سوى الله.

القائلون به: أهل السنة والجماعة.

معنى هذا القول أن كل معبود سوى الله فهو باطل، فالمعبود بحق هو الله وحده؛ لذا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج:٦٢].

القول الثاني: لا معبود إلا الله؛ أو لا موجود إلا الله.

القائلون به: الصوفية، وأهل وحدة الوجود.

معنى هذا القول أن كل المعبودات هي الله، لأن أهل وحدة الوجود يجعلون المخلوقات واحدة لا تنقسم.

القول الثالث: لا خالق إلا الله.

القائلون به: أهل الكلام.

معنى هذا القول أن من لم يعبد الله تعالى فهو موحد، فالموحد عندهم من يقر بتوحيد الربوبية من خلق ورزق وإيجاد وتدبير لله تعالى، وبناء على هذا القول فإن المشركين ليسوا بكفار.

القول الرابع: لا حاكم إلا الله.

القائلون به: جماعة من الإخوان.

معنى هذا القول أن الحاكمية جزء من معنى لا إله إلا الله، وهي شاملة لكل أنواع العبادات، ولم يدخلوا بقية العبادات في التوحيد.

القول الخامس: نفي الأسماء والصفات.



---

(١) انظر: شرح تفسير كلمة التوحيد للفوزان صـ (٨٥-٨٦) بتصرف كثير.

معنى هذا القول أن من أثبت الأسماء والصفات فهو مشرك.

قوله: «فإنّ المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار ﴿فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾»: المنافقون: هم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر؛ فيقولون: «لا إله إلا الله» دون أن يعتقدونها بقلوبهم.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ①﴾ [المنافقون:١].

قال ابن كثير: إنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي ﷺ فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك، بل على الضدّ من ذلك؛ ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: فيما أخبروا به، وإن كان مطابقًا للخارج؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه؛ ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم[١].

قال الطبري: معنى الآية: أن المنافقين قالوا بألسنتهم ذلك، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد إنك لرسول الله، وذلك أنها لا تعتقد ذلك ولا تؤمن به، فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك ؛ وكان بعض أهل العربية يقول في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ إنما كذب ضميرهم؛ لأنهم أضمروا النفاق، فكما لم يقبل إيمانهم، وقد أظهروه، فكذلك جعلهم كاذبين، لأنهم أضمروا غير ما أظهروا[٢].

و قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]، أي في أسفل النار في الطَّبَق الأسفل من أطباق جهنم يوم القيامة[٣]، جزاء على كفرهم

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٢٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٩٠).

(٣) انظر: السابق (٩/ ٣٣٩).



الغليظ[١].

قوله: «**مع كونهم يُصلون ويتصدقون**»: أي يصلون الصلوات المفروضة والنوافل؛ ويتصدقون بأموالهم أمام الناس رياء ونفاقا، ومع ذلك فهم كفار؛ قال تعالى ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨﴾ [النساء:١٣٨].

قوله: «**ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب**»: أي المقصود منها قولها باللسان مع اعتقاد معرفتها بالقلب؛ فمجرد النطق بها لا يكفي، ولا يدخل في الإسلام.

قوله: «**ومحبتها ومحبة أهلها وبغض ما خالفها ومعاداته**»: هذا الشرط الثاني من شروط كلمة التوحيد، وهو محبتها ومحبة أهلها وبغض وكره ومعاداة من خالفها، المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، لحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه[٢].

وقال تعالى في بغض ومعادة من لم يقل كلمة التوحيد: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٦).





أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة:٢٢].

قوله: «**كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم**: «**من قال لا إله إلا الله مخلصا**»، **وفي رواية** «**خالصا من قلبه**»»: هذا فيه الشرط الثالث من شروط كلمة التوحيد وهو الإخلاص، وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك؛ فلا يكفي النطق بكلمة التوحيد بدون إخلاص، فالذي يصرف شيئا منها لغير الله فليس بمسلم.

قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزُّمَر:٣].

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البيِّنة:٥].

قوله: «**وفي رواية** «**صادقا من قلبه**»»: هذا فيه الشرط الرابع من شروط كلمة التوحيد وهو الصدق فيها المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطئ قلبه لسانه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:٣]، أي منهم في قيلهم آمنا ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ منهم في قيلهم ذلك، والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار، وفي حال الاختبار، وبعد الاختبار، ولكن معنى ذلك: ولَيُظْهِرَنَّ الله صدق الصادق منهم في قيله آمنا بالله من كذب الكاذب منهم بابتلائه إياه بعدوّه، ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه، على نحو ما قد بيَّناه فيما مضى قبلُ[1].

قال ابن كثير: أي: الذين صدقوا في دعواهم الإيمان مِمَّنْ هو كاذب في قوله ودعواه. والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون ؛ وهذا



(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٨).

مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة[١].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»[٢].

فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقا من قلبه، فلا ينفعه مجرد اللفظ بدون مواطأة القلب.

قوله: «**وفي حديث آخر**: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله**»»: هذا فيه الشرط الخامس من شروط كلمة التوحيد وهو الكفر بما سوى الله تعالى؛ فمن آمن بالله ولم يكفر بما سوى الله تعالى فليس بمسلم.

قوله: «**إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة**»: أي بشهادة التوحيد.

قال الشيخ حافظ الحكمي مقررا شروط كلمة التوحيد:

وَبِشُروط سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّدَتْ ... وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ

فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا ... بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا

وَالْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالْقَبُولُ ... وَالِانْقِيَادُ فَادْرِ مَا أَقُولُ

وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ والْمَحَبَّهْ ... وَفَّقَكَ اللهُ لِمَا أَحَبَّهْ

وزاد الشيخ سعد بن عتيق شرطا ثامنا فقال:

وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأشياء قد أُلها

أدلة هذه الشروط:

الشرط الأول: العِلْمُ بِمَعْنَاهَا المرَادِ مِنْهَا نَفْيًا وَإِثْبَاتًا المنَافِي لِلْجَهْلِ بِذَلِكَ.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٦٣).

(٢)متفق عليه: رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾[محمد:١٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾[الزُّخرُف:٨٦]، أَيْ: بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بِقُلُوبِهِمْ مَعْنَى مَا نَطَقُوا بِهِ بِأَلسِنَتِهِمْ.

وروى مسلم عَنْ عُثْمَانَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»[1].

الشرط الثاني: اليَقِينُ المنَافِي لِلشَّكِّ بِأَنْ يَكُونَ قَائِلُهَا مُسْتَيْقِنًا بِمَدْلُولِ هَذِهِ الكَلِمَةِ يَقِينًا جَازِمًا، فَإِنَّ الإِيمَانَ لَا يُغْنِي فِيهِ إِلَّا عِلْمُ اليَقِينِ لَا عِلْمُ الظَّنِّ، فَكَيْفَ إِذَا دَخَلَهُ الشَّكُّ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝١٥﴾[الحُجُرات:١٥].

فَاشْتَرَطَ فِي صِدْقِ إِيمَانِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ كَوْنَهُمْ لَمْ يَرْتَابُوا أَيْ: لَمْ يَشُكُّوا، فَأَمَّا المرْتَابُ فَهُوَ مِنَ المنَافِقِينَ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ، الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝٤٥﴾[التوبة:٤٥].

وروى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ»[2].

وروى مسلم عن أبي هريرة أيضا ﷺ مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ بِنَعْلَيْهِ فَقَالَ: «مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ»[3].

فَاشْتَرَطَ فِي دُخُولِ قَائِلِهَا الجَنَّةَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهَا، وَإِذَا انْتَفَى الشَّرْطُ انْتَفَى المشْرُوطُ.

الشرط الثالث: القَبُولُ لِمَا اقْتَضَتْهُ هَذِهِ الكَلِمَةُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَقَدْ قَصَّ اللهُ ﷻ عَلَيْنَا مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ مِنْ إِنْجَاءِ مَنْ قَبِلَهَا وَانْتِقَامِهِ مِمَّنْ رَدَّهَا وَأَبَاهَا.

---

(١)صحيح: رواه مسلم (٤٣).

(٢)صحيح: رواه مسلم (٢٧).

(٣)صحيح: رواه مسلم (٣١).



كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزُّخرُف:٢٣-٢٥].

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[1].

الشرط الرابع: الانْقِيَادُ لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ المنَافِي لِتَرْكِ ذَلِكَ،

قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزُّمَر:٥٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء:١٢٥]، أَيْ: بِلَا إِلَهِ إِلَّا اللهُ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾، وَمَعْنَى يُسْلِمُ وَجْهَهُ أَيْ: يَنْقَادُ وَهُوَ مُحْسِنٌ مُوَحِّدٌ، وَمَنْ لَمْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَلَمْ يَكُ مُحْسِنًا فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَمْسِكْ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى.

الشرط الخامس: الصِّدْقُ فِيهَا المنَافِي لِلْكَذِبِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَهَا صِدْقًا من قلبه يواطئ قَلْبِهِ لِسَانَهُ.

قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت:١-٣].

وفي الصحيحين عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»(١).

فَاشْتَرَطَ فِي إِنْجَاءِ مَنْ قَالَ هَذِهِ الكَلِمَةَ مِنَ النَّارِ أَنْ يَقُولَهَا صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، فَلَا يَنْفَعُهُ مُجَرَّدُ اللَّفْظِ بِدُونِ مُوَاطَأَةِ القَلْبِ.

وَفِي الصحيحين عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله ﷺ مِنْ قِصَّةِ الأَعْرَابِيِّ، وَهُوَ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ وَافِدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ لَمَّا سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺعَنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»، قَالَ: وَالله لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»(٢)، فَاشْتَرَطَ فِي فَلَاحِهِ وَدُخُولِ الجَنَّةِ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا.

الشرط السادس: الإِخْلَاصُ، وَهُوَ تَصْفِيَةُ العَمَلِ بِصَالِحِ النِّيَّةِ عَنْ جَمِيعِ شَوَائِبِ الشِّرْكِ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيِّنة:٥].

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مَنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»(٣).

وَفِي الصحيحين عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله ﷻ»(٤).

وروى الترمذي بسند حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا، إلا فتحت لها أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى العَرْشِ مَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ»(٥).

الشرط السابع: المحَبَّةُ لِهَذِهِ الكَلِمَةِ وَلِمَا اقْتَضَتْهُ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ وَلِأَهْلِهَا العَامِلِينَ بِهَا المُلْتَزِمِينَ لِشُرُوطِهَا، وَبُغْضٍ مَا نَاقَضَ ذَلِكَ.

---

(١)متفق عليه: رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

(٢)متفق عليه: رواه البخاري (٤٦)،و مسلم (١٢).

(٣)صحيح: رواه البخاري (١٠٥).

(٤)متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (١٥٢٨).

(٥)حسن: رواه الترمذي (٣٥٩٠)، وحسنه الألباني (١٥٢٤).



قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة:١٦٥].

فَأَخْبَرَنَا اللهُ ﷻ أَنَّ عِبادَهُ المؤْمِنِينَ أَشَدُّ حُبًّا لَهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُشْرِكُوا مَعَهُ فِي مَحَبَّتِهِ أَحَدًا كَمَا فَعَلَ مُدَّعُو مَحَبَّتِهِ مِنَ المشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دونه أندادا يحبونهم كَحُبِّهِ، وَعَلامَةُ حُبِّ العَبْدِ رَبَّهُ تَقْدِيمُ مُحَابِّهِ وَإِنْ خَالَفَتْ هَوَاهُ وَبُغْضُ مَا يُبْغِضُ رَبُّهُ وَإِنَّ مَالَ إِلَيْهِ هَوَاهُ، وَمُوَالَاةُ مَنْ وَالَى اللهُ وَرَسُولُهُ وَمُعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُ، وَاتِّبَاعُ رَسُولِهِ ﷺ وَاقْتِفَاءُ أَثَرِهِ وَقَبُولُ هُدَاهُ. وَكُلُّ هَذِهِ العَلَامَاتِ شُرُوطٌ فِي المحَبَّةِ لَا يُتَصَوَّرُ وُجُودُ المحَبَّةِ مع عدم وجود شَرْطٍ مِنْهَا، فَكُلُّ مَنْ عَبَدَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ فَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ عَبْدٌ لِهَوَاهُ، بَلْ كُلُّ مَا عَصَى اللهَ بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ فَسَبَبُهُ تَقْدِيمُ العَبْدِ هَوَاهُ عَلَى أَوَامِرِ اللهِ ﷻ وَنَوَاهِيهِ.

وَقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ الموَالَاةِ وَالمعَادَاةِ فِيهِ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة:٢٢].

وَقَالَ تَعَالَى فِي اشْتِرَاطِ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ ﷺ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:٣١].

وَفِي الصحيحين عن أَنَسٍ رضي الله عنه أن رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[١].

وَفِي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[٢].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٦٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٥) ومسلم (١٧٨).

الشرط الثامن: الكفر بما سوى الله تعالى من الآلهة الباطلة.

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة:٢٥٦].

عَنْ أَبِي مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»[1].

فمن شهد أن لا إله إلا الله فلا تقبل منه حتى يكفر بما يعبد من دون الله من الطواغيت فإن قالها وهو يعبد مع الله غيره لم تنفعه.

قال الخطابي وغيره: «المراد بهذا أهل الأوثان ومشركو العرب ومن لا يؤمن دون أهل الكتاب ومن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقوله لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده»[2].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣).

(٢) انظر: شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد صـ (٣٤).

[أركان كلمة التوحيد]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات نفي الإلهية عمّا سوى الله تعالى من المخلوقات، حتى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وجبرائيل فضلا عن غيرهم من الأولياء والصالحين.

....**الشــرح**..

كلمة التوحيد كلمة عظيمة لا ينتفع بها قائلها حتى يحقق ركنيها، وهما:

الركن الأول: النفي «لا إله».

الركن الثاني: الإثبات «إلا الله».

قوله: «**فاعلم**»: كلمة يؤتى بها للانتباه، والحث.

قوله: «**أن هذه الكلمة نفي**»: هذا الركن الأول من أركان كلمة التوحيد، وهو النفي، ومعناه نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوى الله تعالى؛ لذا قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٥]، فاشترط الله تعالى الكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله تعالى.

قال ابن القيم: «الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله»[1].

قوله: «**وإثبات**»: هذ الركن الثاني من أركان كلمة التوحيد، وهو الإثبات، ومعناه إثبات الإلهية لله وحده سبحانه وتعالى؛ فمن نفى استحقاق الإلهية عن كل الآلهة، ولم يثبتها لله فلا ينفعه هذا النفي.

قوله: «**نفي الإلهية عمّا سوى الله تعالى من المخلوقات**»: هذا تفسير

---

(١) انظر: أعلام الموقعين (١/ ٥٠).

الركن الأول، ومعناه نفي استحقاق العبادة عما سوى الله من المخلوقات، سواء كان ملكا أو نبيا أو رسولا أو وليا أو مخلوقا عظيما.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

فقوله: ﴿شَيۡـٔٗا﴾ نكرة في سياق النهي تفيد العموم، فتعم الملائكة والأنبياء والرسل والأولياء.

والإلهية هي العبادة؛ من أله يأله إلهة، وأَصله من أَلِهَ يَأْلَهُ إذا تَحَيَّر يريد إذا وقع العبد في عظمة الله وجلاله(١).

قوله: «**حتى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وجبرائيل**»: أي وإن كان هذا المعبود أعظم البشر وأقربهم إلى الله وهو الرسول ﷺ، أو أعظم الملائكة وأقربهم إلى الله وهو جبريل عليه السلام.

قوله: «**فضلا عن غيرهم من الأولياء والصالحين**»: أي عمن دون الرسول ﷺ وجبريل عليه السلام من الأولياء والصالحين.

والأولياء جمع ولي، وهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس:٦٣].

والصالحون كل من ائتمر بالمأمورات وانتهى عن المنهيات من الملائكة والرسل والأنبياء وأتباعهم.



(١) انظر: لسان العرب، مادة « أله » .

[لا يجوز صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

إذا فهمت ذلك، فتأمل هذه الألوهية التي أثبتها الله لنفسه، ونفاها عن محمد وجبرائيل وغيرهما أن يكون لهم مثقال حبة من خردل.

.... **الشـــرح** ....

قوله: «**إذا فهمت ذلك**»: أي إذا فهمت أيها القارئ أن كلمة التوحيد لا تنفع قائلها حتى يحقق ركنيها الإثبات والنفي.

قوله: «**فتأمل**»: أي تثبت وتفكر بإمعان، والتأمل: التَّثَبُّت، وتأَمَّلت الشيءَ أَي نظرت إِليه مُستثْبِتًا له وتَأَمّل الرجلُ تَثَبَّت في الأَمر[١].

قوله: «**هذه الألوهية**»: أي هذه العبادة.

قوله: «**التي أثبتها الله لنفسه، ونفاها عن محمد وجبرائيل وغيرهما**»: فلا يجوز صرفها لغير الله تعالى مهما عظم؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

قوله: «**أن يكون لهم مثقال حبة من خردل**»: أي زنة حبة من خردل؛ والمِثْقالُ: واحِدُ مَثاقِيلِ الذَّهَبِ، وهو عِبارَةٌ عن اثنتين وسبعين شَعِيرةً[٢]؛ والخَرْدَل حَبُّ شجرٍ[٣]، وهو نوع من الحُرُف معروف الواحدة خَرْدَلة[٤].

والمعنى أن العبادة لا يجوز صرف شيء منها لغير الله تعالى وإن كان أقل القليل؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة « أمل » .

(٢) انظر: تاج العروس، مادة «خردل» .

(٣) انظر: القاموس المحيط، مادة «خردل» .

(٤) انظر: لسان العرب، مادة «خردل» .





[معنى الألوهية عند العامة]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فاعلم أنّ هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والوَلاية.

والإله معناه الولي الذي فيه السرّ، وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ.

وتسميه العامة السيد وأشباه هذا.

وذلك أنهم يظنون أنّ الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أنّ الإنسان يلتجئ إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله.

فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم وهم الذين يسميهم الأولون (الآلهة) ، والواسطة هو الإله.

فقول الرجل: لا إله إلاّ الله، إبطال للوسائط.

الشـرح

قوله: «فاعلم أنّ هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والوَلاية»: أي في زمان المصنف رحمه الله يطلق العامة على الولي بأن فيه سر مع الله وولاية، فيتقربون إليه بأنواع من العبادة كالدعاء والطواف والذبح ونحوه، والولاية بفتح الواو معناها المحبة والنصرة.

قوله: «والإله معناه الولي الذي فيه السرّ، وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ»: أي تسمي العامة الولي عندهم بالفقير والشيخ، الذي يأخذون عنه دينهم؛ والشيخ عندهم لا يكمل علمه حتى يأخذه عن الله ﷻ بلا واسطة من نقل أو شيخ[1].

قال الشعراني: «وكان الشيخ الكامل أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول لعلماء عصره: أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي



---

(١) انظر: تهذيب الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١١).

الذي لا يموت»[١].

قوله: «**وتسميه العامة السيد وأشباه هذا**»: أي يسمون شيخهم السيد والإمام، ولابد أن يكون معه التلميذ - وهو ما يسمونه بالمريد - كالميت بين يدي المغسل.

قوله: «**وذلك**»: أي سبب ذلك.

قوله: «**أنهم يظنون أنّ اللّه جعل لخواص الخلق منزلة**»: أي يظن هؤلاء العامة أن الله تعالى جعل لخواصهم من الأولياء مكانة ومنزلة.

قوله: « **يرضى أنّ الإنسان يلتجئ إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين اللّه**»: أي يرضى الله بهذه المنزلة التي جعلها لهم أن يلتجؤا إليهم بها، ويرجوهم، ويطلبوا منهم الغوث عند الشدة والهلكة، ويجعلهم شفعاء بينهم وبين الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس:١٨].

قال الطبري: «يعني: أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: أتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض؟، وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله في السموات ولا في الأرض، وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله: قل لهم: أتخبرون الله أن ما لا يشفع في السموات ولا في الأرض يشفع لكم فيهما؟ وذلك باطلٌ لا تعلم حقيقته وصحته، بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون، وأنها لا تشفع



(١) انظر: تهذيب الطبقات الكبرى، للشعراني (١/ ١٢).

لأحد، ولا تنفع ولا تضر»[1].

وقال ابن كثير: «أنكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتُها عند الله، فأخبر تعالى أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئا، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبدا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:١٨]»[2].

قوله: «**فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم وهم الذين يسميهم الأولون (الآلهة)، والواسطة هو الإله**»: أي أن المعبودات التي كان يسميها المشركون الأولون على عهد الرسول ﷺ آلهة يسميها أهل زماننا من عباد الأضرحة واسطة، ولا يسمونها آلهة، ظانين بذلك أنهم لا يعبدونها، وهم مخطئون في ذلك؛ لأن العبرة بالحقائق لا بالمسميات، ومقالتهم هي مقالة مشركي قريش سواء بسواء.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣].

قال قتادة، والسدي، ومالك عن زيد بن أسلم، وابن زيد: «﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي: ليشفعوا لنا، ويقربونا عنده منزلة»[3].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يَتَوَلَّوْنَهُم، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زُلْفَى،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٦-٤٧).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٢٥١).



قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا»[١].

و قال ابن كثير في معنى الآية: «أي إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به»[٢].

قوله: «**فقول الرجل لا إله إلا الله، إبطال للوسائط**»: أي أن كلمة التوحيد تبطل هذا الوسائط التي جعلوها بينهم وبين الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٢٥١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٨٤-٨٥).



[مشابهة مشركي زماننا لمشركي قريش]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة، فذلك بأمرين:

الأول: أن تعرف أنّ الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقتلهم ونهب أموالهم، واستحلّ نساءهم كانوا مقرين لله سبحانه، بتوحيد الربوبية؛ وهو أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبّر الأمور إلاّ الله وحده، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس:٣١]، وهذه مسألة عظيمة جليلة مهمة، وهي أن تعرف أنّ الكفار شاهدون بهذا كله، ومقرّون به، ومع ذلك لم يدخلهم ذلك في الإسلام ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم، وكانوا أيضا يتصدّقون، ويحجون ويعتمرون، ويتعبّدون، ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله ﷻ، ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله ﷻ، ولكن الأمر الثاني هو الذي كفّرهم وأحلّ دماءهم وأموالهم، وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وهو أنه لا يُدعى، ولا يُرجى، إلاّ الله وحده لا شريك له، ولا يُستغاث بغيره، ولا يُذبح لغيره، ولا يُنذر لغيره، لا لملَك مقرّب ولا نبي مرسل، فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك.

وتمام هذا أن تعرف أنّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يدعون الصالحين مثل الملائكة، وعيسى وعُزير، وغيرهم من الأولياء، فكفروا بهذا مع إقرارهم بأنّ الله هو الخالق الرازق المدبّر.

..........................الشـــرح..........................

قوله: «فإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة، فذلك بأمرين»: أي إن أردت أن تعرف مشابهة مشركي زماننا لمشركي قريش فذلك من أمرين:

قوله: «الأول: أن تعرف أنّ الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله



عليه وآله وسلم، وقتلهم ونهب أموالهم»: أي أخذ أموالهم، والنَّهْبُ الغَنيمة، والانْتِهابُ أَن يأْخُذَه مَنْ شاءَ[١].

قوله: «واستحلّ نساءهم»: أي جعلها حلالا له ولأصحابه.

قوله: «كانوا مقرين لله سبحانه، بتوحيد الربوبية»: أي كانوا يقرون بأن الله هو الرازق الخالق المدبر السيد المالك، وتوحيد الربوبية هو إفراد الله بالخلق والتدبير والسيادة والملك.

قوله: «وهو أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبر الأمور إلا الله وحده، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾»: أي من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقًا بقدرته ومشيئته، فيخرج منها ﴿حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس:٢٧-٣١][٢].

قوله: «﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾»: أي الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إياها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك:٢٣]، وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ [الأنعام:٤٦][٣].

قوله: «﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾»: أي بقدرته العظيمة، ومنته العميمة، وقد تقدم ذكر الخلاف في ذلك، وأن الآية عامة في ذلك

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة «نهب».

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٦).

(٣) انظر: السابق (٤/ ٢٦٦).



كله[١].

قوله: «﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾»: أي من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩]، فالملك كله العلوي والسفلي، وما فيهما من ملائكة وإنس وجان، فقيرون إليه، عبيد له، خاضعون لديه[٢].

قوله: «﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾»: أي: هم يعلمون ذلك ويعترفون به.

فالمشركون -الذين يعبدون معه غيره- معترفون أنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر، وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده، ومقدر آجالهم[٣].

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت:٦١].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت:٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان:٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٦).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٤).





مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزُّمَر:٣٨].

قال الطبري: «يقول تعالى مخبرًا عن هؤلاء المشركين به: إنهم يعرفون أن الله خالقُ السموات والأرض، وحدَه لا شريك له، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خَلْقٌ له وملك له»[١].

قوله: «**وهذه مسألة عظيمة جليلة مهمة، وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله ومقرّون به**»: أي بتوحيد الربوبية وأن الله هو الخالق الرازق المدبر المالك.

قوله: «**ومع ذلك لم يدخلهم ذلك في الإسلام ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم**»: أي مع إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام ولم يحرم دماءهم وأموالهم، بل كفرهم الله تعالى، واستباح الرسول ﷺ دماءهم وأموالهم.

قوله: «**وكانوا أيضا يتصدّقون**»: أي أن هؤلاء المشركين كان يتصدقون؛ فعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنهَا أن خَدِيجَةَ، قَالَتْ للنبي ﷺ حين نزل عليه الوحي: «كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ»[٢].

قوله: «**ويحجون ويعتمرون**»: أي أن هؤلاء المشركين كان يحجون ويعتمرون البيت الحرام وهذا مشهور منهم؛ فعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، كَانَتْ قُرَيْشٌ، وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ[٣].

قوله: «**ويتعبّدون**»: أي أن هؤلاء المشركين كانوا يتعبدون لله تعالى بعبادات

---

[١] انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٤٨).

[٢] متفق عليه: رواه البخاري (٣)، و مسلم (١٦٠).

[٣] متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٢٠)، و مسلم (١٢١٨).



منها:

١. **الصيام**: كصوم عاشوراء؛ فعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ[١].

٢. **الاعتكاف**: فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قَالَ: «فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ»[٢].

قوله: «**ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله ﷻ**»: فكانوا يتركون القتال في الأشهر الحرم خوفا من الله تعالى.

قوله: «**ولكن الأمر الثاني هو الذي كفّرهم وأحلّ دماءهم وأموالهم**»: أي كفرهم الله به، وأحل دماءهم واستباح أموالهم.

قوله: «**وهو أنهم لم يشهدوا للّه بتوحيد الألوهية**»: أي لم يقروا ويذعنوا لله تعالى بتوحيد الألوهية، وهو العبادة.

قوله: «**وهو أنه لا يُدعى**»: أي لا يطلب الدعاء إلا من الله، والدعاء هو طلب من أدنى لأعلى على سبيل الالتماس، وهو قسمان:

القسم الأول: دعاء مسألة: وهو ما يطلبه العبد من النوع الأول: دعاء مسألة: وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر.

مثاله: أن يقول الداعي: اللهم اغفر لي وارحمني.

القسم الثاني: دعاء عبادة: ويكون بأي نوع من أنواع العبادة وهو ما لم يكن فيه سؤال ولا طلب؛ فالصلاة دعاء والزكاة دعاء، ونحوه، ويدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٣)، و مسلم (٢٦٩٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٣٢)، و مسلم (١٦٥٦).





العبادة والإثابة عليها، كما قال جل وعلا: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن:١٨].

أي: لا تعبدوا مع الله أحدا، أو لا تسألوا مع الله أحدا، وكما قال النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[١]، فمن صلى، أو زكى، أو صام، ونحو ذلك فيقال: إنه دعا، لكن دعاء عبادة.

قوله: «**ولا يُرجى**»: أي لا يرجى إلا الله، والرجاء: وهو طمع الإنسان في أمر قريب المنال أو بعيد المنال، وهو **قسمان**:

القسم الأول: رجاء محمود: وهو الذي يصحبه عمل.

القسم الثاني: رجاء مذموم: وهو الذي لا يصحبه عمل.

قوله: «**إلا الله وحده لا شريك له**»: أي لا شريك له في هذه العبادات وغيرها.

قوله: «**ولا يُستغاث بغيره**»: أي لا يطلب الغوث من الشدة فيما لا يقدر عليه إلا الله إلا من الله تعالى، والاستغاثة هي: طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك؛ والاستغاثة بالله من أفضل الأعمال وأكملها ، ودليله قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

قوله: «**ولا يُذبح لغيره**»: أي لا يذبح لغير الله تعالى متقربا بذبيحته لغير الله، أم إن ذبح قاصدا الأكل أو إكرام ضيف أو الاتجار فلا شيء فيه؛ والذبح هو: إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص.

قوله: «**ولا يُنذر لغيره**»: أي لا يوجب الإنسان على نفسه عبادة لغير الله



---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٤٨١)، و الترمذي (٢٩٦٩)، و قال: حسن صحيح .

تبرعا[١] ، كأن يقول لفلان علي نذر، أو لهذا القبر علي نذر.

والنذر قسمان:

القسم الأول: نذر لله، وهو نوعان:

النوع الأول: نذر مطلق وهو: أن يلزم العبد نفسه بعبادة لله بلا قيد.

مثاله: أ ن يقول: لله عَلَيَّ أن أصلي ركعتين، وهذا نذر محمود.

النوع الثاني: نذر مقيد، وهو أن يلزم العبد نفسه بعبادة لله بقيد.

مثاله: أن يقول: لله علي أن أصلي ركعتين إن نجحت ، وهذا نذر مكروه، وهو الذي قال فيه الرسول : «إنما يُسْتَخْرَجُ بِهِ من البَخِيْلُ»[٢].

لأن البخيل هو الذي لا يعمل العبادة حتى يُقاضَى عليها، فصار بما أعطاه الله من النعمة أو بما دُفِعَ عنه من النقمة كأنه قد أعطى الأجر، وأُعطِي ثمن تلك العبادة.

القسم الثاني: نذر لغير الله ، وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

مثاله: أن يقول: لفلان علي نذر، أو لهذا القبر علي نذر، أو للنبي علي نذر، يريد بذلك التقرب إليهم.

قوله: «**لا لملك مقرّب ولا نبي مرسل**»: أي لا يتقرب بشيء من هذه العبادات لغير الله سواء كان هذا الغير ملك من الملائكة المقربين أو نبي مرسل، فضلا عن غيرهم.

قوله: « **فمن استغاث بغيره فقد كفر**»: أي طلب الغوث من الشدة فيما لا يقدر عليه إلا الله من غير الله فهو كافر؛ أو استغاث بميت فهو كافر.

---

(١) انظر: المطلع صـ (٣٩٣) .

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٣٢٦) .





قوله: «**ومن ذبح لغيره فقد كفر**»: أي من ذبح لغير الله تعالى متقربا بذبيحته لغير الله تعالى فهو كافر.

قوله: «**ومن نذر لغيره فقد كفر**»: أي من أوجب على نفسه طاعة لغير الله تعالى فهو كافر.

قوله: «**وأشباه ذلك**»: أي من العبادات فمن صرفا شيئا من العبادة لغير الله تعالى فهو كافر؛ قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

قوله: «**وتمام هذا**»: أي الأمر الثاني الذي هو عدم إقرار مشركي قريش بتوحيد الألوهية.

قوله: «**أن تعرف أنّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يدعون الصالحين مثل الملائكة**»: الدليل على أن الكفار كانوا يعبدون الملائكة قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾ [فُصِّلت:٣٧].

قوله: «**وعيسى وعُزير**»: الدليل على أن الكفار كانوا يعبدون عيسى قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة:١١٦].

وعزير هو الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، واليهود يسمونه: عِزْرا[1].

قوله: «**وغيرهم من الأولياء**»: كالصالحين، والدليل على عبادتهم الصالحين قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (٥/ ٧٤٠)، وأيسر التفاسير، للشيخ أبو بكر الجزائري (٢/ ٣٥٩).

﴿رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء:٥٧].

وقد اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية على قولين[1]:

القول الأول: نزلت في ناس من الإنس، يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم.

القول الثاني: نزلت في نفر كانوا يعبدون عيسى وأمه، وعُزير.

قوله: «**فكفروا بهذا**»: أي بتوحيد الألوهية.

قوله: «**مع إقرارهم بأنّ اللّه هو الخالق الرازق المدبّر**»: أي مع إقرارهم بأفراد توحيد الربوبية كالرزق والخلق والتدبير.



(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٢)، و تفسير ابن كثير (٥/ ٨٨-٨٩).

[المعنى الحق لكلمة التوحيد]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

وإذا عرفت هذا عرفت معنى لا إله إلاّ الله، وعرفت أن من نخَّى نبيا أو ملكا، أو ندبه، أو استغاث به، فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

....**الشـرح**..

قوله: «**وإذا عرفت هذا**»: أي عرفت أن الكفار ما كانوا يقرون إلا بتوحيد الربوبية.

قوله: «**عرفت معنى لا إله إلا الله**»: أي المعنى الحق لهذه الكلمة وهو تفسيرها بتوحيد العبادة لا كما يفسرها الصوفية بتوحيد الربوبية.

قوله: «**وعرفت أن من نخّى نبيا أو ملكا**»: أي عظمه، والنَّخْوةُ العَظَمَة والكِبْرُ والفَخْرُ[١]، والمراد هنا استنجد.

قوله: «**أو ندبه**»: أي دعاه، يقال: ندَبَه للأَمْر فانْتَدَبَ له أَي دَعاه له فأَجاب[٢].

قوله: «**أو استغاث به**»: أي طلب منه أن يغيثه من الشدة أو الهلكة.

قوله: «**فقد خرج من الإسلام**»: أي بهذا الفعل.

قوله: «**وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**»: أي الكفر بتوحيد الإلهية، وصرف نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى.

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة «نخا».

(٢) انظر: لسان العرب، مادة «ندب».



[شبهة والرد عليها]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق، الرازق، المدبر، لكن هؤلاء الصالحون مقربون، ونحن ندعوهم، وننذر لهم، وندخل عليهم، ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة وإلاّ نحن نفهم أنّ الله هو الخالق المدبّر.

فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله، فإنّهم يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والأولياء يريدون ذلك كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

...................................الشـرح...................................

قوله: «**فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أنّ اللّه هو الخالق الرازق المدبّر**»: أي يقر بتوحيد الربوبية.

قوله: «**نحن نعرف أن اللّه هو الخالق، الرازق، المدبر، لكن هؤلاء الصالحون مقربون، ونحن ندعوهم، وننذر لهم، وندخل عليهم، ونستغيث بهم ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة**»: أي نريد المكانة عندهم وأن نستشفع بهم عند الله تعالى، والشفاعة هي طلب التوسط عند الغير لطلب نفع أو لدفع ضر.

قوله: «**وإلا نحن نفهم أنّ اللّه هو الخالق المدبّر**»: أي لا نعتقد أنهم لهم من صفات الربوبية شيء.

قوله: «**فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله**»: أي أصل هذا الكلام لأبي جهل وكفار قريش ممن لم يؤمنوا برسول الله ﷺ.

قوله: «**فإنهم يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والأولياء يريدون**





ذلك»: يريدون الشفاعة والمكانة عندهم.

قوله: «**كما قال تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾»: قال قتادة، والسدي، ومالك عن زيد بن أسلم، وابن زيد: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾أي: ليشفعوا لنا، ويقربونا عنده منزلة[1].

قوله: «**وقال تعالى**: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾»: أي ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا.

قوله: «﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾»:أي هم الواسطة بيننا وبين الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٢٥١)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٨٥).



قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإذا تأمّلت هذا تأملا جيدًا عرفت أنّ الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية، وهو تفرّد بالخلق والرزق والتدبير، وهم ينخُّون عيسى والملائكة والأولياء يقصدون أنهم يقرّبونهم إلى الله ويشفعون عنده، وعرفت أنّ من الكفار خصوصا النصارى منهم، من يعبد الله الليل والنهار ويزهد في الدنيا، ويتصدق بما دخل عليه منها، معتزل في صومعة عن الناس، ومع هذا: كافر عدو لله مخلّد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء يدعوه أو يذبح له أو ينذر له، تبيّن لك كيف صفة الإسلام، الذي دعا إليه نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بمعزل وتبين لك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبا كما بدأ»[١].

الشـرح

قوله: «**فإذا تأمّلت هذا تأملا جيدًا**»: أي تأملت أن الكفار ما كانوا يقرون بتوحيد الألوهية.

قوله: «**عرفت أنّ الكفار يشهدون للّه**»: أي يقرون لله تعالى.

قوله: «**بتوحيد الربوبية، وهو تفرّد بالخلق والرزق والتدبير، وهم ينخون عيسى والملائكة والأولياء**»: أي يعظمون ويستنجدون بغير الله تعالى كعيسى عليه السلام والملائكة ولأولياء.

قوله: «**يقصدون أنهم يقرّبونهم إلى الله ويشفعون عنده**»: أي يقصدون بصرف العبادة لهم التقرب إلى الله تعالى وطلب الشفاعة عنده.

قوله: «**وعرفت أنّ من الكفار خصوصا النصارى منهم، من يعبد الله الليل والنهار**»: أي طوال الليل والنهار.

(١)صحيح: رواه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة .

قوله: «**ويزهد في الدنيا**»: أي يترك ما لا ينفعه في الآخرة.

قوله: «**ويتصدق بما دخل عليه منها**»: أي يتصدق بالمال الذي يدخل عليه من دنياه، ولا يدخره لنفسه.

قوله: «**معتزل في صومعة عن الناس**»: أي متعبد لله تعالى فيها.

والصومعة بناء مرتفع دقيقة الرأس(١)، سميت صومعة لتلطيف أعلاها(٢).

قوله: «**ومع هذا: كافر عدو لله**»: أي ومع عبادته لله تعالى فهو كافر بالله تعالى.

قوله: «**مخلد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء**»: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)﴾ [المائدة:٧٢].

فقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ أي: فيعبد معه غيره، ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ أي: فقد أوجب له النار، وحرم عليه الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠)﴾ [الأعراف:٥٠](٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الْجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إِلاَّ نَفْسٌ

---

(١) انظر: مختار الصحاح، ولسان العرب، مادة «صمع».

(٢) انظر: تهذيب اللغة، مادة «صمع».

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٧).



مُسْلِمَةٌ»[١].

قوله: «**يدعوه أو يذبح له أو ينذر له**»: أي يدعو هذا الولي، أو يذبح له الذبائح، أو ينذر له النذور.

قوله: «**تبيّن لك كيف صفة الإسلام، الذي دعا إليه نبيك صلى الله عليه وآله وسلم**»: هي أن تقر لله بتوحيد العبادة ولا تصرفه لأحد غيره.

قوله: «**وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بمعزل**»: أي يظهر لك أن كثيرا من الناس عن هذا التوحيد بمعزل.

قوله: «**وتبين لك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم**: «**بدأ الإسلام غريبًا**»: أي في أول البعثة.

قوله: «**وسيعود غريبا كما بدأ**»»: أي وسيلحقه النقص والاختلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضا كما بدأ.

قال القاضي: «وظاهر الحديث العموم، وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس، وقلة ثم انتشر وظهر ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضا كما بدأ»[٢].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٢٨)، و مسلم (٢٢١).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (٢/ ١٧٧).

[الولاء والبراء]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فاللهَ اللهَ يا إخواني تمسّكوا بأصل دينكم وأوله وآخره وأسّه ورأسه: شهادة أن لا إله إلاّ الله، واعرفوا معناها، وأحبّوها وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوهم وأبغضوا من أحبّهم أو جادل عنهم أو لم يكفّرهم، أو قال ما علي منهم أو قال ما كلّفني الله بهم فقد كذب هذا على الله وافترى فقد كلّفه الله بهم وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم، فالله الله، تمسّكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا اللهم توفّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

.... **الشــرح** ....

قوله: «**فاللهَ اللهَ يا إخواني تمسّكوا بأصل دينكم**»: هذ أسلوب حث أي الزموا يا إخواني أصل الدين وهو التوحيد، وهذا من حرص الشيخ الشديد على تمسك المسلمين بالتوحيد.

قوله: «**وأوله**»: أول الدين هو التوحيد، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه، عَلَى الْيَمَنِ قَالَ: إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ الله، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[1].

قوله: «**وآخره**»: آخر الدين هو التوحيد، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ



---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

الله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١).

قوله: «**وأسّه ورأسه: شهادة أن لا إله إلا الله.. واعرفوا معناها**»:

معناها: لا معبود بحق إلا الله تعالى.

قوله: «**وأحبّوها وأحبوا أهلها**»: لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة:٥٤] .

قوله: «**واجعلوهم إخوانكم**»: أي في الدين﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠].

قوله: «**ولو كانوا بعيدين**»: أي عنكم في المنازل والبلدان.

قوله: «**واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوهم**»: هذا من شروط كلمة التوحيد، والطواغيت جمع طاغوت، وهو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله(٢)؛ قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٥]، وكما قال إبراهيم عليه السلام والذين معه: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

قوله: «**وأبغضوا من أحبّهم**»: أي على ما هم عليه من كفر.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣١١٨)، و أحمد (٢/ ١٧٠)، و صححه الألباني .

(٢) انظر: أعلام الموقعين، لابن القيم (١/ ٤٠).



قوله: «**أو جادل عنهم**»: أي تصحيحا لمذهبهم.

قوله: «**أو لم يكفّرهم، أو قال ما علي منهم**»: أي لو قال رجل: أنا أتبع النبي ﷺ وهو على الحق، لكن: لا أتعرَّض اللاَّت، والعزَّى، ولا أتعرَّض أبا جهل، وأمثاله، ما عليّ منهم؛ لم يصح إسلامه.

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

قوله: «**أو قال ما كلفني الله بهم**»: أي ما كلفني الله بدعوتهم وبتكفيرهم.

قوله: «**فقد كذب هذا على الله وافترى**»: أي قائل هذه المقالة مفترى وكاذب على الله.

قوله: «**فقد كلفه الله بهم وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم**»: لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة:٢٢].

قوله: «**فالله الله، تمسّكوا بذلك**»: أي تمسكوا بالمعنى الحق لكلمة التوحيد وما تتضمنه من مقتضى وأركان؛ وهذا أسلوب حث.

قوله: «**لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا**»: فمن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة؛ لحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ



يَقُولُ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»[1].

وعن عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»، وَقُلْتُ أَنَا: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ لاَ يَدْعُو للهِ نِدًّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[2].

قوله: «**اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين**»: هذا دعاء من الشيخ رحمه الله أن يتوفانا على ملة الإسلام، ويلحقنا بالصالحين من الأنبياء والرسل والصحابة والصالحين، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٤٩٧).

[كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرًا من مشركي قريش]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه، تبيّن لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرًا من الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء:٦٧].

فقد سمعتم أنّ الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسّهم الضرّ تركوا السادة والمشائخ، ولم يستغيثوا بهم بل أخلصوا لله وحده لا شريك له واستغاثوا به وحده فإن جاء الرخاء أشركوا وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ولعل بعضهم يدّعي أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة إذا مسّه الضرّ قد يستغيث بغير الله مثل معروف، أو عبد القادر الجيلاني، وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير وأجل من هؤلاء مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله المستعان وأعظم من ذلك وزرا أنّهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة، مثل شمسان وإدريس ويونس وأمثالهم والله سبحانه أعلم.

آمين؛ وصلى الله على خير خلقه محمد، وآله أجمعين، والحمد لله أولا وآخرا.

الشــرح

قوله: «ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه، تبيّن لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرًا من الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»: لأن المشركين الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة؛ لأنهم يعلمون أن آلهتهم لا تنفعهم في الشدة إنما الذي ينفع هو الله تعالى، بخلاف مشركي زماننا فإنهم يشركون في الرخاء والشدة.

قوله: «قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾»: أي وإذا نالتكم الشدّة والجهد في البحر ضلّ من تدعون: يقول: فقدتّم من تدعون



من دون الله من الأنداد والآلهة، وجار عن طريقكم فلم يغثكم، ولم تجدوا غير الله مغيثا يغيثكم دعوتموه، فلما دعوتموه وأغاثكم، وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر، أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد، والبراءة من الآلهة، وإفراده بالألوهة كفرا منكم بنعمته[١]، كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فارًا من رسول الله ﷺ حين فتح مكة، فذهب هاربًا، فركب في البحر ليدخل الحبشة، فجاءتهم ريح عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعو الله وحده، فقال عكرمة في نفسه: والله لئن كان لا ينفع في البحر غيره، فإنه لا ينفع في البر غيره، اللهم لك عليّ عهد، لئن أخرجتني منه لأذهبن فَأضعن يدي في يديه، فلأجدنه رؤوفا رحيمًا، فخرجوا من البحر، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه وأرضاه[٢].

قوله: «﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾»: أي نسيتم ما عرفتم من توحيده في البحر، وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له[٣].

قوله: «﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾»: أي وكان الإنسان ذا جحد لنعم ربه سَجِيَّتُه هذا، ينسى النعم ويجحدها، إلا من عصم الله[٤].

قوله: «**فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسّهم الضرّ تركوا السادة والمشائخ**»: أي تركوا ما كانوا يصرفون لهم العبادة من دون الله تعالى، والسادة جمع سيد، والمشائخ جمع شيخ.

قوله: «**ولم يستغيثوا بهم**»: أي لم يطلبوا من ساداتهم، ومشايخهم الغوث

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٩٧).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٩٦).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٩٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٩٧)، و تفسير ابن كثير (٥/ ٩٦).



من الشدة والهلكة.

قوله: «**بل**»: للإضراب الإبطالي.

قوله: «**أخلصوا لله وحده**»: أي نقوا العبادة وصرفوها لله وحده.

قوله: «**لا شريك له**»: أي لا يشركون في دعائهم أحدا غير الله تعالى.

قوله: «**واستغاثوا به وحده**»: أي طلبوا الغوث والنجاة من الله وحده.

قوله: «**فإن جاء الرخاء أشركوا**»: أي إن جاهم الله تعالى من الهلكة وعمهم الرخاء والسعة والغنى أشركوا غير الله في عبادتهم.

قوله: «**وأنت**»: أيها القارئ أو المستمع.

قوله: «**ترى**»: أي ببصرك.

قوله: «**المشركين من أهل زماننا ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم**»: أي العلم الشرعي.

قوله: «**وفيه زهد واجتهاد وعبادة**»: أي يظهر فيه الزهد في الدنيا، والاجتهاد في الطاعة والعبادة.

قوله: «**إذا مسه الضر قد يستغيث بغير الله**»: أي إي إذا مسه ضر طلب الغوث من غير الله تعالى.

قوله: «**مثل معروف**»: أي ممن تصرف له العبادة غير الله تعالى، معروف، وهو معروف الكرخي أبو محفوظ البغدادي، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين، ولد في كرخ بغداد، كان أبوه من الصابئة، ونشأ وتوفي ببغداد، كان من موالى الإمام علي الرضى بن موسى الكاظم؛ اشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك به حتى كان الإمام أحمد ابن حنبل في جملة من يختلف إليه، مات سنة مائتين[1].



---

(١) انظر: السير (١٧/ ٣٥٣-٣٥٨)، و الأعلام للزركلي (٧/ ٢٦٩).

قوله: «**أو عبد القادر الجيلاني**»: هو الشيخ الامام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الاسلام، علم الاولياء، محيي الدين، أبو محمد، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن جنكي دوست الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد، ولد بجيلان (وراء طبرستان) في سنة إحدى وسبعين وأربع مئة، كان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، قال الذهبي: وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه[١]، ومن كتبه: «الغنية لطالب طريق الحق»، توفي سنة إحدى وستين وخمسمائة [٢].

قوله: «**وأجلّ من هؤلاء**»: أي وأعظم ممن ذكرت منزلة ومكانة.

قوله: «**مثل زيد بن الخطاب**»: زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، صحابي، من شجعان العرب في الجاهلية والاسلام، وهو أخو عمر بن الخطاب، وكان أسن من عمر، وأسلم قبله، وكان أسمر طويلا جدا، وكان قد آخى النبي ﷺ بينه، وبين معن بن عدي العجلاني، شهد المشاهد، ولقد قال له عمر يوم بدر: البس درعي، قال: إني أريد من الشهادة ما تريد، قال: فتركاها جميعا، وكانت راية المسلمين معه يوم اليمامة، فلم يزل يقدم بها في نحر العدو، ثم قاتل حتى قتل، فوقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة، وحزن عليه عمر حزنا شديدا، وكان يقول: أسلم قبلي، واستشهد قبلي، استشهد في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة، وكان الجهلة في نجد، قبيل قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يغالون في تعظيم قبره، باليمامة، ويزعمون أنه يقضي لهم حاجاتهم[٣].

---

(١) انظر: السير (٢٠/ ٤١٩-٤٥١).

(٢) انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٤٦-٤٧).

(٣) انظر: السير (١/ ٢٩٧-٢٩٩)، و الأعلام للزركلي (٣/ ٥٧-٥٨).





قوله: «**والزبير**»: هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في سبيل الله، أسلم وله اثنتا عشر سنة، وقيل: ابن ثمان سنين، وكان عمه نوفل بن خويلد يعلقه في حصير ويدخن عليه بالنار ليرجع إلى الكفر شهد بدرًا وما بعدها، وهاجر الهجرتين، قتل في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين بعد منصرفة من موقعة الجمل، وله ست أو سبع وستون سنة [١].

قوله: «**وأجل من هؤلاء مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله المستعان**»: أي أعظم من هؤلاء الأولياء من يصرف العبادة للرسول ﷺ.

قوله: «**وأعظم من ذلك وزرا**»: أي أعظم ممن ذكرت إثما.

قوله: «**أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة، مثل شمسان وإدريس ويونس وأمثالهم والله سبحانه أعلم**»: هذه أسماء أناس طواغيت يعبدون من دون الله تعالى زمن المؤلف، وقد بيّن الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله بقوله: «يوسف وشمسان وتاج أسماء أناس كفرة طواغيت، فأما تاج فهو من أهل الخرج تصرف إليه النذور، ويُدعى ويعتقد فيه النفع والضر، وكان يأتي إلى أهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور، وقد كان يخافه كثير من الناس الذين يعتقدون فيه، وله أعوان وحاشية لا يتعرض لهم بمكروه، بل يدعى فيهم الدعاوى الكاذبة، وتنسب إليهم الحكايات القبيحة.

وأما شمسان فالذي يظهر من رسائل إمام الدعوة رحمه الله أنه لا يبعد عن العارضِ، وله أولاد يعتقد فيهم، وأما يوسف فقد كان على قبره وثن يعتقد فيه، ويظهر أن قبره في الكويت أو الأحساء كما يفهم من بعض رسائل الشيخ رحمه الله.

---

(١) انظر: السير (١/ ٣١-٥٢).

أما تاريخ وجودهم فهو قريب من عصر إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله»[١].

قوله: «**والحمد لله أولا وآخرا**»: الحمد: هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له[٢]، والألف واللام للاستغراق أي أن كل أنواع المحامد لله جل وعلا.

واللام في لفظ الجلالة تفيد الاستحقاق.

قوله: «**وصلى الله**»: الصلاة لغة: الدُّعَاءُ[٣]؛ قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ [التوبة:١٠٣]، وأصح ما قيل في صلاة الله على رسوله هو ما ذكره البخاري في صحيحه عن أبي العالية قال: «صلاة الله على رسوله: ثناؤه عليه عند الملائكة»[٤].

قوله: «**على خير خلقه محمد**»: أي أفضل خلق الله تعالى، ومعنى محمد: الذي يحمده الناس لكثرة محامده[٥].

قوله: «**وآله أجمعين**»: الآل هم من ينتمون إليه بصلة وثيقة من قرابة ونحوها، وأحسن ما قيل في المراد بآل الرسول ﷺ أتباعه على دينه[٦].

قوله: «**آمين**»: اسم فعل بمعنى اللهم استجب[٧].

تم الشرح والحمد لله السميع البصير

---

(١) انظر: تعليقات على كشف الشبهات، للدكتور: عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف صـ (٧١ – ٧٢).

(٢) انظر: لسان العرب، مادة «حمد».

(٣) انظر: السابق، مادة «صلا».

(٤) صحيح: رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم (٢٥٦).

(٥) انظر: لسان العرب، مادة «حمد».

(٦) انظر: الاستذكار، لابن عبد البر (١٧/ ٣٠٢-٣٠٤).

(٧) انظر: السابق، مادة «أمن».



الأسئلة والمناقشة

في ضوء دراستك لكتاب «القول السديد شرح تفسير كلمة التوحيد» أجب عن الأسئلة الآتية:

١. اذكر جملة من أسماء كلمة التوحيد.

٢. الإسلام قسمان. وضح ذلك.

٣. الكفر قسمان. وضح ذلك.

٤. اذكر شروط كلمة التوحيد، مدعمة بالأدلة.

٥. اذكر أقوال الناس في معنى كلمة التوحيد.

٦. اذكر أركان كلمة التوحيد.

٧. لا يجوز صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى. وضح ذلك.

٨. ما معنى الألوهية عند العامة؟

٩. ما وجه المشابهة بين مشركي زماننا ومشركي قريش؟

١٠. النذر قسمان. وضح ذلك.

١١. ما المعنى الحق لكلمة التوحيد؟

١٢. كيف تجيب عن هذه الشبهة: نحن نعرف أن الله هو الخالق، الرازق، المدبر، لكن هؤلاء الصالحون مقربون، ونحن ندعوهم، وننذر لهم، وندخل عليهم، ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة وإلا نحن نفهم أنّ الله هو الخالق المدبّر.

١٣. كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرًا من مشركي قريش. وضح ذلك.



